

الأمثال في القرآن الكريم

(194) كَأَنَّهُمَا أُطَافَا بِهِ ، فَقَوْلُهُ فِي الْآيَةِ (فَحَافَظْنَاهُمَا بِرِذْخَلٍ) أَي جَعَلْنَا النخل مطيافاً بهما ، وقوله : (مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ) فَهُوَ مِنْ بَادَ الشَّيْءَ ، يَبِيدُ بَيَاداً إِذَا تَفَرَّقَ وَتَوَزَعَ فِي الْبِيدَاءِ أَيِ الْمَفَازَةِ . "حَسْبَانَا" : أَصْلُ الْحَسْبَانِ السَّهَامُ الَّتِي تَرْمِي ، الْحَسْبَانُ مَا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ ، فَيَجَازَى بِحَسْبِهِ فَيَكُونُ النَّارُ وَالرِّيحُ مِنْ مَصَادِيقِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي الرِّيحِ : "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهَا عَذَاباً وَلَا حَسْبَاناً" . "الصَّعِيدُ" يُقَالُ لَوَجْهِ الْأَرْضِ "زَلَقٌ" أَي دَحَضاً لَا نَبَاتَ فِيهِ وَيُرَادُ بِهِ الصَّلْدُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (فَتَرَكَهُ صَلْداً) (1) هَذَا مَا يَرْجِعُ إِلَى مَفْرَدَاتِ الْآيَةِ . وَأَمَّا تَفْسِيرُهَا ، فَهُوَ تَمَثُّيلٌ لِلْمَوْتِ وَ الْكَافِرِ بِلَا وَ الْمُنْكَرَ لِلْحَيَاةِ الْآخِرِيَّةِ ، فَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا يَعْتَمِدُ عَلَى رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ ، وَالثَّانِي يَرْكَنُ إِلَى الدُّنْيَا وَ يَطْمَئِنُّ بِهَا ، وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ بِالتَّمَثُّيلِ التَّالِيِ : قَدْ افْتَخَرَ بَعْضُ الْكَافِرِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْصَارِهِمْ عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ الْمَثْلَ يَبِينُ فِيهَا بِأَنَّهُ لَا اعْتِبَارَ بِالْغِنَى الْمَوْقَتْ وَأَنَّهُ سَوْفَ يَذْهَبُ سُدًى ، أَمَّا الَّذِي يَجِبُ الْمَفَاخِرَةَ بِهِ هُوَ تَسْلِيمُ الْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ وَإِطَاعَتُهُ لِمَوْلَاهُ . وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ التَّمَثُّيلِ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مَاتَ أَبُوهُمَا وَتَرَكَ مَالاً وَافِراً فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا حَقَّهُ مِنْهُ وَهُوَ الْمَوْتُ مِنْهُمَا فَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ ، وَأَخَذَ الْآخَرَ حَقَّهُ فَتَمَلَّكَ بِهِ ضِيَاعاً بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ فَافْتَخَرَ الْآخِرُ الْغَنَى عَلَى الْفَقِيرِ ، وَقَالَ : (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفْراً) ، وَمَا هَذَا إِلَّا لَأَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ جَنَّتَيْنِ مِنْ _____ 1 - الْبَقَرَةِ : 264 .